ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Sahar Khalif Sakhi
University of Wasit - College of Education for Humanities - Department of History
Email: Sahar.kh@uowasit.edu.iq
Prof. Dr. Saadoun Abdul Hadi Barghash Al-Amir
University of Wasit - College of Education for Humanities - Department of History

Keywords: Tyranny, Ancient Egyptian civilization, Stone Age.

ARTICLE INFO

Article history:
Received 16Feb 2025
Accepted 29May 2025
Available online 1 Jul 2025

Economic Tyranny in Ancient, Medieval and Modern Egyptian Civilization

Abstract

The agricultural ages in prehistoric Egypt developed naturally. Over time, particularly with the advent of the Neolithic era, the ancient Egyptian learned how to cultivate and farm his land. He planted certain crops by sowing seeds into the silt left behind after the Nile's floodwaters receded, allowing them to grow until harvest time. He began using simple primitive tools such as the axe and sickle, which were made from flint stone. He also invented tools like the plow and the shaduf (water-lifting device) to irrigate his fields during the summer by raising water from the Nile. The ancient Egyptian cultivated various plants, some of which grew naturally. Agriculture came to hold a central role in Egypt's economic life, highlighting the importance of the farmer, who worked the land and utilized it. He became the driving force behind the entire economic activity of the country. In fact, the farmer and the Nile together came to be seen as the two pillars upon which the nation's wealth was built. Without the farmer, Egypt would surely have perished; for the Nile and the farmer are two complementary forces, and together they sustained Egyptian prosperity to this very day.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4219

الباحثة سحر خليف صخي/جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية- قسم التاريخ
أ.د. سعدون عبدالهادي برغش الأمير/جامعة واسط – كلية التربية للعلوم الانسانية- قسم التاريخ

الملخص:

كانت عصور الزراعة في مصر ما قبل التاريخ تنمو طبيعياً، ومع الوقت ومع قيام العصر الحجري الحديث استطاع المصري القديم زراعة أرضه، وفلاحتها فزرع بعض النباتات والمحاصيل عندما بذر البذور في الطمى بعد انحسار الفيضان، فكانت تنمو حتى موعد الحصاد، وأخذ يستخدم الأدوات البدائية البسيطة الفأس والمنجل، وقد صنعهما من حجر الصوان، وكما صنع المحراث والشادوف لرفع المياه من النهر أيام الصيف ليروي بها الأرض، وزرع المصري القديم بعض الباتات، وكانت بعض النباتات تنمو طبيعيا، وبينت الزراعة في حياة مصر الاقتصادية أهمية الفلاح الذي يقوم على الأرض، ويستغلها فهو الذي يعطي تلك الحياة الاقتصادية كل نشاطها حتى ليُعَدُّ هو والنيل كلاهما الدعامتين اللتين ترتكز عليهما الثروة العامة. لولا الفلاح لماتت مصر حتماً؛ إذ النيل والفلاح عاملان يكمل أحدهما الآخر، وبهما معا قامت الثروة المصرية إلى هذا اليوم.

الكلمات المفتاحية: الاستبداد، حضارة مصر القديمة، العصر الحجري.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المقدمة:

بدأت حياة الإنسان المصري القديم في مجتمع زراعي مستقر تجمعت فيه منذ البداية خصائص طبيعية معينة جعلت منه وحدة مادية وفكرية ذات طابع خاص. (عوف، 1999: 119)، ومن أهم تلك الخصائص ظاهرة الدورية أو بالأحرى ذلك الانتظام المتكرر في الظواهر البيئية والكونية مما دفع الإنسان الكائن في ذلك المجتمع الى تأكيد استمرار وانتظام تلك الظواهر، وبالتالي الاعتقاد بوجود قوى إلهيه من ورائها وقد تأكد ذلك أيضا؛ لأن الاقتصاد الرئيسي في المجتمع المصري القديم هو الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد أولا وأخيرا على تلك الظواهر البيئية والكونية. (بيير، 1997: 139).

أ- الاستبداد لغة: - هو غرورُ المرءِ برأيهِ وعدم تقبل النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة [1]، والاستبداد بالشيء التفرد بهِ [2] والاستبداد هو اسمٌ لفعلِ (استبد) يقوم بهِ فاعل(مستبد)[3].

ثانيا - الاستبداد اصطلاحا

[1] – الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مؤسسة هنداوي للنشر، 2010، ص15

[2] – ابن منظور، لسان العرب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص81

[3] – انيس، إبراهيم واخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، ج1، 2005، ص42

يعد الاستبداد على مستوى العالم هو أعلى مراتب النفي الذاتي إذ يعيق التقدم عن طريق القمع المتجسد في الذات وأيضا يصادر حرية الأفراد تحت مسميات عديدة تبريرية لذا فان الاستبداد يعد الجمود بجميع صوره الفكرية والابداعية والانتاجية [4].

وأيضا يعرف الاستبداد هو تصرف شخص أو مجموع اشخاص في حقوق ومصير الأقوام بدون خوف [5]، وقد عرَّفته الموسوعة السياسية الاستبداد: بأنه نظام أو حكم معين ينفرد بالسلطة دون الخضوع لقانون أو قاعدة وعدم الاهتمام إلى آراء المحكومين [6].

والاقتصاد المصري في أساسه اقتصاداً زراعياً، يعتمد على استغلال ما يحمله الفيضان من خصب ومياه، وكانت الفلاحة هي العمل الرئيسي الذي يشتغل به القسم الأعظم من سكان وادي ودلتا النيل، مما جعل أعمال تنظيم الري وشق الترع والقنوات من أهم واجبات حكومة البلاد، ومن أولى مبررات وجودها، ومن أعظم مصادرها . (الجبالي، 2017: 85)

المبحث الأول: الطبيعة الاستبدادية للفكر الاقتصادي ومظاهره

تُعد الزراعة من أهم المهن التي مارسها الإنسان المصري القديم، وعمل بها قطاع كبير من الشعب وهي المورد الخصب الذي أكسب مصر حضارتها اليانعة، وكانت الأسس الأولى لهذه المهنة قد وضعت منذ عصور ما قبل التاريخ.(عطا، 1994: بلا)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أخذ التطور يتجه من مرحلة التفكك الاجتماعي والفوضى إلى مرحلة التعاون ومن مرحلة البحث الفردي عن الغذاء إلى مرحلة الاقتصاد التعاوني الجماعي ومن ثم اصبح اقتصادا مشاعاً اي مجتمع مشترك ومصالح مشتركة وتطور الجماعات المنفردة إلى مجتمعات محلية مركزية بدرجات متفاوتة تُحكم بطريقة متجانسة إلى حدٍ ما من حياة بلا مركز وبلا نظم مستقرة ومن أي نوع إلى حياة تدور حول مسكن ومزرعة وحقل ومرعى ومستوطن ومعبد. (هاوزر، 2012: 27)

وإنّ مصر مدينة للنيل بثروتها وحياتها حقيقة أكدها أبو التاريخ هيرودوتس، منذ أربعة وعشرين قرناً بقوله (مصر هبة من النيل)، إذا فاض ذلك النهر فأرواها اكتست أرضها سندساً أخضر، وإن غاضَ فأظمأ تحولت بغتة إلى صحراء مجدبة، فكان القحط والجوع للفلاح المسكين الذي يرزح تحت أثقال الديون، وشلت الحركة الاقتصادية في البلاد شللا مفاجئًا والأزمات التي تطرأ على أثر كل فيضان ضعيف والغالب أن

---

[4] – مبارك، زهير فريد، اصول الاستبداد العربي، رسالة ماجستير ، ص13

[5] – الرضا، علي عبد، الاستبداد السياسي والديني وحدة في الاهداف والاساليب ، ص14

[6] – الكيالي ،عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ب ت ،ص166

الفيضان الضعيف لا يأتي إلا نادرا تزداد خطورتها لأنها تصيب البلاد في مبعث حياتها أي في زراعتها . (نحاس، 2016: 21)

يشكل موت الإله اوزريس في مصر القديمة الذي كان يترتب على موته موت الطبيعة وجفاف نهر النيل وبعودته للحياة بعد مساعدة زوجته ايزيس فإن الطبيعة تعود للحياة ويعود الفيضان وإن إعادة اوزريس للحياة يعني اخصاب النبات هذا وإنّ عبر بدوره عن الجانب الاقتصادي فأن موته كان معبرا عن الجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي فهو تعبير رمزي عن طغيان قوة الشر وتفوقها على حساب قوة الخير, قوة الشر كانت بطبيعة الحال قد انعكست على الحياة الاجتماعية التي صارت تحت هيمنة الشر . (الدلفي، 2022: 288)

العصور القديمة في الحضارة المصرية في أيام الفراعنة كانت الشخصية الاعتبارية تحدد للأحرار فقط وليس للعبيد مما يعني أن الشخصية الاعتبارية كانت مرتبطة بالعبودية والقاعدة الأساسية هي ربط الشخصيات الموجودة والمعدومة، ولم يكن للعبيد أي حقوق أو حريات لذلك عدوا أموالاً تعود إليهم جميع المعاملات المشروعة سواء كانت بيعاً أو شراءاً هي لمصلحة أصحابها الأحرار . (أبو العنين، 1993: 8)

وفي أواخر عهد الدولة القديمة يلاحظ ضعف السلطة المركزية وظهور حركات انفصالية في بعض المناطق فعلى ما يبدو أن الكثير من الأشراف ورجال الدين لم يكن مسروراً من سلطة الفرعون الاستبدادية، ونشطت اليد العامة إلى العاصمة، واستنزاف موارد البلاد، واستخدام كل ذلك في مشاريعه الخاصة كبناء المعابد والقصور والأهرامات وغير ذلك أمام الاستياء الناشب اضطر الفراعنة إلى إعفاء بعض المعابد والمدن من الضرائب والواجبات الأخرى تجاه الدولة، ولكن رغم ذلك اخذت تزداد الحركات الانفصالية، وفيما بعد تنقسم مصر إلى عدة دول صغيرة تخوض فيما بينها حروباً أهلية . (فرح، د.ت: 67).

لذلك اهتمت الدولة اهتماما بالغا بالنيل وصل الى حد التقديس، وقد حظيت الزراعة برعاية واهتمام ملوك مصر كما كانت تخضع لتوجيه وأشراف الدولة فكان بين موظفيها المشرفون على صوامع الغلال ومحاصيل الأقاليم، وقد حرص ملوك مصر في عصر المملكة الحديثة على تنمية الزراعة وتنويع الحاصلات الزراعية من خلال جلب النباتات التي لم تكن معروفة في مصر(موسى، 1998: 217) . إنّ موسم الفيضان وارتفاع منسوب المياه كان موسما تضع فيه الأيدي العاملة نفسها تحت تصرف الملك وفاءاً له بحق ما يتمتع به عليهم من سلطة، كان الفلاحون يشكلون غالبية الأيدي العاملة في ذلك الوقت، وفي ظروف العمل الموسمي هذه كان يحلو للملك أن يبرز قساوة حكمه في مصر . (حسن، 1919: 38)

ومن خلال الوثائق الرسمية فإن الفرعون يلقب بالإله البار، أو ابن (رع) أي ابن إله الشمس ولايحق لأحد من عامة الشعب التقرب للفرعون ووجب عليه أنّ يقبل الأرض أمام قدميه، أما تقبيل قدمي الفرعون فلا يحق إلا للشخصيات كبيرة معينة وعظمة الفرعون قامت على الموارد الضخمة التي تصرف بها، حيث إنَ

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

جميع الأراضي له اسميا تعود ملكاً شخصياً، ولكن بالواقع كانت له بعض الأملاك الزراعية الخاصة به والتي تصرف عملياً بإنتاجها ووزع منها على أقربائه ومقربيه، كما تصرف الفرعون أيضاً بثروة مناجم الأحجار والمعادن، وكان استغلال الضرائب العينية التي تجمع من السكان تستخدم أيضاً لسد حاجات القصر والدولة كما كان سكان مصر ملزمين بالعمل في المشاريع الاخرى، كبناء السدود، وشق قنوان الري، وبعض المشاريع التي تخص الإمبراطور وحده، كبناء القصور الملكية والاهرامات . (فرح، د.ت: 66)

من أهم الوسائل التي ثبَّت بها الفرعون حكمه ونظامه السيطرة الاقتصادية في تاريخ مصر، وهو سر تكالب الناس قديما على أماكن العشب والماء، وهو سبب التكالب حديثا على مصادر الثروة، لما في تلك المصادر والثروات من حيوية في حياة الناس وعيشهم، حتى صح القول: من يملك يحكم، لأن من بيده المال والثروة يستطيع التحكّم في حياة النّاس، وبالتّالي حكمهم والسيطرة عليهم، ولم تغب هذه الوسيلة القديمة الجديدة عن وسائل فرعون التي بها وعليها بنى نظامه وأسسه وأصَّله، فالمالك للمال بنوعيه المنقول وغير المنقول هو فرعون، فهو يملك الأنهار والأشجار والأرض والأحجار كما يملك الذهب والفضة والخيل والبقر والبشر فهو بزعمه الإله، وعليه فهو المالك لكل شيء، ومن يدعي غير ذلك أو يشك فيه فقد صلاحياته . (خضر، توفيق، 2003: 143).

وإنّ الفراعنة المصريين الأوائل الذين نسبتهم نصوصهم إلى الآلهة وصورت لهم سلطة واسعة، لم تخل أيامهم مما يحدث عادة في مختلف الشعوب ومختلف العصور من تنازع أسرى وشقاق داخلي وحرب أهلية حقيقية في الأسرة الأولى والثانية بين الشمال والجنوب وأكدتها نقوش لوحات وأوانٍ وتماثيل مصرية ترجع لنفس الفترة بسبب دوافع اقتصادية وأدى الاستقرار بعد انتهاء الحرب الأهلية وعودة الاتحاد بين الشمال والجنوب إلى الازدهار التجاري بين مصر والبلاد الأجنبية وخاصة الآسيوية منها ، حيث وردت إشارة في (حجر بالرمو) تفيد بأن الملك (خع سخموى) أرسل أسطولا إلى فينيقيا يلحظ أنه في الحرب أن العاصمة كانت في الجنوب أو في ثنى، قد يعنى ذلك أنه عندما تكون العاصمة الإدارية في أقصى الجنوب يكون هناك بعد نسبي في اتخاذ القرارات الإدارية، مما يجعل أهل الشمال أو الدلتا يثورون على الملك ويعتقدون أنَهم بمنأى عنه فيحاولون الاستقلال أو الانفصال عن المملكة الموحدة وأن يتخلصوا من التزامات وأعباء الوحدة مع وجود العاصمة في أقصى الجنوب كان السبب الرئيسي لأن تحدث الخلافات السياسية بين الشمال والجنوب . (الطلى، د.ت: 57)

ويمكن إيجاز الأسباب الاقتصادية الأخرى التي أدت إلى قيام هذه الثورات من خلال التراكمات المتعددة إلى انحدار الاقتصاد القومي بالتدريج حتى وصل إلى ذروة الانحطاط عند نهاية الأسرة السادسة، وتعددت هذه الأسباب ومنها تشييد مباني الاهرامات التي تهدد اقتصاد مصر القديمة؛ إذ شُيِّدَ أهرام لكل ملك جديد،

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ولقد كان بناء الأهرامات وغيرها من المباني الدينية، نتيجة سطوة الدين على المصريين وأثره في حياتهم وتفكيرهم . (مهران، 2015: 499-946)

وهناك بردية تصف لنا كذلك الأحداث المريرة التي مرت بها مصر في هذه المرحلة نتيجة انعدام السلطة المركزية التي عرفت باسم بردية (نفر ـ رهو) (ارمان واركنه، 1937: بلا) ، وقد سجلت هذه البردية في أوائل عصر الأسرة الثانية عشرة بعد انتهاء هذه الأحداث، ولكن كاتبها نسبها إلى فترة بعيدة ترجع إلى أيام الملك سنفر ومؤسس الأسرة الرابعة ومما جاء فيها:

"سأريك البلاد وقد أصبحت رأساً على عقب،

وسيسعى الناس للحصول على الخبز وسيصنع الناس بإراقة الدماء . .

لقد انتهى كل شيء جميل، وصار الناس يفعلون ما لم يفعلوه من قبل، إنهم يأخذون أملاك الرجل ويعطونها للغريب أصبح للكلام في قلوب الناس وقع مثل وقع النار، ولم يعد أحد يصبر على سماع النصيحة لقد قلت مساحة الأراضي ولكن عدد ملاكها تضاعف، ومن كان يمتلك الكثير أصبح لا يملك شيئاً"(سليم، 1989: 85-93)

لم يستكن المصريون للسطلة مع ازدياد الاستبداد والتسلط بعدم دفع أجور العمال بل على العكس كانوا حريصين على أخذ حقوقهم وبدأوا يثورون ضد الظلم ويقفون في وجه الطغيان ومنها الثورات والاضراب الذي شنه العمال نتيجة عدم صرف مستحقاتهم المالية، إذ جرت هذا الاحداث في عام 1170 ق. م عندما جاء فصل الخريف وانحسرت مياه الفيضان وبدأت تظهر بوادر الزراعة في الحقول كان عمال الجبانة في غرب طيبة جائعين إذ لم تصل لهم الغلال ،ولم تدفع لهم الأجور ودفع بهم الجوع إلى الاحتجاج، وفي هذا اليوم اخترق العمال في المقبرة الاسوار الخمسة مرددين نحن جياع وجلسوا خلف معبد تحوتمس الثالث على الارض المزروعة وقد جاء اليهم الرؤساء الثلاث ومعهم مساعديهم أن يعودوا لأنهم يحملون امر الملك لكن العمال لم يعودوا واستمروا وفي اليوم الثاني هجموا على معبد رمسيس الثاني وعندما هرع الحراس والموظفون ،وكان المصريون مصممين على اخذ حصتهم من الاجر ،وقالوا لقد جئنا الى هذا المكان المقدس بسبب الجوع والعطش والفقر فنحن بدون ثياب وبدون أكل اكتبوا إلى فرعون وإلى الوزير الذي يشرف علينا .وفتحوا لهم الخزانة الملكية وصرفوا لهم مخصصات الشهر السابق . (زناتي، 2008: 331-332)

وفيما يتصل بطبقة العامة فقد تضمنت التجار والصناع والعمال والفنانين والفلاحين ويلاحظ أن التجار مسؤولين عن التجارة الداخلية، والتي كانت محدودة لدرجة كبيرة، ومن ثم فإن النصوص لا تتحدث عن التجار، مما يدل على أنّ التجارة الداخلية أبان تلك الفترة لم تلعب دوراً هاماً ومن ثم فإن التجار لم يقوموا بدور هام في الثورة أو في دوافعها، وفي المقابل قلة عدد التجار وضآلة دورهم وأهميتهم فقد كان الصناع

والفنانون أكثر عدداً وأشد خطراً من التجار، وذلك يرجع إلى حرفتهم نفسها وأهميتها بالنسبة إلى الحضارة المصرية القديمة، فليس هناك دليل على أنّ الصناع والفنانين كانوَا يحَيونَ في بحبوحة من العيش إنّ لم يكونوا فقراء كبقية الطبقة العاملة، وقد أطلق عليهم البعض تسمية (الطبقة الوسطى)، وهي الطبقة التي تقوم على أكتافها في معظم الأحوال مهمة إيقاظ الشعوب من غفوتها والقيام بالثورات . (سليم، 1989: 89)

على ما يبدو ورث الفلاح الشقاء عن أجداده ولم يكن بمقدوره التحكم بمستقبله كما يتمنى، أو أن يخرج عن سلطة الدولة، وعلى الرغم من أن مصر القديمة لم تستند في العمل الاجتماعي الاقتصادي على نظام الرق إلا أنها عرفت نظاماً آخر مهيناً للكرامة الإنسانية وهو نظام التبعية، وفي هذا النظام لا يكون الفرد رقاً بمعنى الكلمة، ولا حراً بمعنى الكلمة، إنما هو بين بين، أو نصف حر كما يقول رجال القانون، فالفلاح في ظل نظام التبعية الذي عرفته مصر في العصور القديمة، وبخاصة العصر الانتقالي الأول لم يكن يعمل بمقتضى عقد، و لم يكن يتقاضى أجراً من سيده، وإنما يأخذ ما يقيم أوده عيناً، ولم تكن هناك جهة يستطيع الفلاح أن يلجأ إليها للحصول على حقه من سيده فالوجهاء هم الذين يتولون القضاء، ، ولا يستطيعون لأذيتهم دفعاً رادعاً. قد جعل استقلال حكام الأقاليم من تبعية الفلاحين تبعية مزدوجة للملك ولحكام الأقاليم . (جري، 2019: 139)

وقد تجزأت البلاد في نهاية السلالة السادسة إلى عدد من الإمارات شبه المستقلة ولكنها وراثية ولم تعد تستعمل طريقة التدوين بالنسبة الى سنين حكم الملك بل بالنسبة لسني حكمهم، وصار هؤلاء الأمراء اغلبهم ملوكا صغار في مقاطعاتهم الصغيرة لهم جيشهم وجنودهم المرتزقة وكذلك كانوا يحتلون منصب الكاهن الأعلى في لائحة دويلاتهم ويشرفون على إدارة هذه الآلهة وكانوا يستحوذون على ثروات طائلة وكثيراً ما تكون أراضي المقاطعة وما فيها من حيوانات ملكاً لهم وسكانها يشتغلون لهم عبيداً فقد ذكرت إحدى الوثائق العائدة إلى أمير مقاطعة سيوط (أسيوط) وكان اسمه (زفاي حابي) أنه كان يجمع الأموال الضخمة من مقاطعته وإنه عاش في زمن كان سكان المقاطعة يدفعون له الضرائب الكثيرة على انفسهم (ضريبة الرأس) وحيواناتهم باعتبار أنّ المقاطعة وما فيها ملك لهذا الامير فله مثلا أن يطلب من كل فلاح ثوراً يذبح ضحية المقابر على أرواح الموتى وأن تقدم له نسبة معينة من جميع الأغنام والأبقار والحيوانات الأخرى بصفته الكاهن الأعلى للمعبد ، ولهذا الأمير ممتلكات خاصة به فضلا عما يأخذه الناس كفريضة يجب أداؤها اليه وإلى ما يرده من أملاك المعبد بصفته الكاهن الأعلى لإله المقاطعة وتعرف هذه الممتلكات الخاصة باسم أموال آبين أي أموال إله الملك . (سليمان، الفتيان، 1978: 299)

ومما سبق ندرك قوة وسيطرة الفرعون من الناحية الاقتصادية، هذه السيطرة التي كانت وسيلة من وسائله في تثبيت نظامه وإظهار شخصيته، فتعددت وجوه استعماله للمال، ولكنّها في نهاية المطاف تصب في إبقاء النظام، وتشد عرش الظلم المتربع فوقه الفرعون، وفي ذلك شواهد وأدلة على قوة الوضع الاقتصادي

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الذي يتمتع به نظام فرعون فعندهم بنايات ومزارع وأبنية وقصور بل وربما الإشارة إلى تقدمهم في المجال الزراعي الذي هو جزء من القوة الاقتصادية، ويشكل المال وسيلة من وسائل التثبيت لمنهجه ونظامه . (خضر، توفيق، 2003: 146)

ومن خلال تسلط موظفي السلطة الملكية لأقصى حد ممكن جعل الفلاح يعيش حياة قاسية نتيجة ظلم أصحاب السلطة الذي يتجاوز حدود المعقول كان الفلاح يترك الأرض ويرحل أو يعلن العصيان لفقدانه كل مصلحة في عمله كما كانت تحل بالفلاحين مصائب وكوارث بين الفترة والأخرى، لقد عمل الفلاحون في أراضي الملك والمعابد وأراضي الوجهاء مقابل حصة من الإنتاج وكانوا ينظمون ضمن زمر تتألف الزمرة من أفراد عائلة واحدة، أو عائلات متعددة وكان لكل زمرة رئيس صورته لوحات جدران المقابر ونقوشها وهو مسلح بالسوط والدبوس، وبحسب النصوص التعليمية إن المحصول لم يكن كله للفلاح بل كان يخضع للجرد، وإذا تبين أن الفلاح قد فشل في تسليم ما ينبغي عليه تسليمه فإنه يعاقب أشد العقاب، فينهال عليه موظفو الدولة ضرباً بالسياط والعصي . (جري، 2019: 138)

ومع استمرار العبودية حقد المستثمرون على مستثمريهم وجلاديهم الذين انعزلوا عن شعبهم مما سهل للأجانب تعاظم احتلال مصر وهذا وان رسم صورة واقعية دقيقة واضحة ومتكاملة للمجتمع المصري ليس مهمة سهلة، بسبب قلة الوثائق، ومع ذلك فإن ما تناهى إلينا من معلومات هامة يكفي لرسم خطوط عامة عن التركيب الطبقي وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين طبقات المجتمع العبودي المصري . (دلو، 2008: 103)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ويوجد ما يشير إلى ذلك من خلال النقوش، فقد قام توحتمس الثالث بعد عودته من حملته الثالثة بالنقش على أحد جدران قاعة خلفية بالكرنك جاء فيه" العام الخامس والعشرين تحت حكم مصر العليا والسفلى من خبر رع الذي يعيش إلى الأبد نباتات وجدها جلالته في أرض رنتو العليا لتخضع البلاد جميعا تنفيذا لرغبة أبيه آمون الذي وضعهم تحت نعله إلى الأبد" . (أديب، 2000: 42)

وخير مثال على ذلك النمط مبدا الإنتاج في المجتمع الفرعوني، حيث كان يحتوي على المشاعية وعلى بذور العبودية، بل والإقطاع والعمل المأجور ومع أن الأرض كانت ملكاً لفرعون كرأس للدولة من الناحية النظرية، إلا أن حق الانتفاع بها كان مقرراً لأفراد عديدين. وكان هذا الحق يورث أو يؤجر أو يباع، ويعد مستوى تطور القوى المنتجة في النظام الفرعوني أكثر تقدماً مما كان عليه في ظل المشاعية البدائية.

وظهر تقسيم العمل الاجتماعي الثاني في المجتمع الفرعوني عندما انفصلت الحرفة (حرفة التجارة والبناء والفخار... إلخ) عن الرعي وتربية الحيوان من جهة، ثم عن الزراعة من جهة أخرى. وبقي تقسيم العمل المهني داخل المشترك الفلاحي القروي يخدم اقتصاد الاكتفاء الذاتي يرتبط بإنتاج البضائع والسلع، وكان

يتحول جزء من فائض الإنتاج إلى بضاعة بعد أن تكون الدولة قد تسلمته، ويجري تبادله مع بضائع محلية أو مستوردة لذلك أخذ الاقتصاد الطبيعي في المجتمع الفرعوني يتحول تدريجياً وبصورة بطيئة إلى اقتصاد تبادلي . (سعد، 1979: 42)

وقد أثبت الفراعنة عملياً أكثر من مرة هذه الحقوق للملك استبدادهم (استبداد السلطة)، إذ استولى أخناتون مثلاً على ممتلكات معابد آمون كلها وسلمها لخزينة الدولة، وكذلك تعرض كبار الموظفين وأفراد الأرستقراطية المرة بعد المرة للمصادرات التامة، وبخاصة عندما كانت أسرة جديدة تستولي على الحكم، ويذكر هيرودوت أن رمسيس الثاني وزع الأرض على جميع المصريين بالتساوي في القرن الثالث عشر ق. م . (أرمان، رانكه، 1937: 153)

وأنّ ملكية الدولة تنفرد بها الدولة والرعايا هم أيضًا ملك الدولة، ولهم أن يفعلوا بحياتهم وأرواحهم ما يريدون، وبالتالي فإن الدولة تمتلك الأرض وما على الأرض، وما في داخل الأرض. تسيطر الدولة على وسائل الإنتاج الأساسية (الأرض والعمل والموارد الطبيعية المختلفة)، إذا حصل أحد أفراد الطبقة الحاكمة على قطعة أرض منحها الملك، فإنه يحق له الانتفاع بالأرض وينتقل الحق القانوني المطلق في التصرف في موارد البلاد إلى أي حاكم جديد بمجرد وصول فرعون إلى السلطة، بغض النظر عما إذا كان لديه دم ملكي أم لا، لم يكن الأمر كذلك، وهذا يعني أن الحق ينشأ من الدولة ككيان كامل قائم وليس من وراثة عائلة معينة، أي أنه ليس بصفته الشخصية للملك بل بصفته رئيساً للدولة، وقد انتقلت الهوية إلى الملك . (سعد، 1979: 41)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وسيطر المصريون على البحرين الأبيض والأحمر حيث قاموا بالعديد من الرحلات عبرهما الى الساحل السوري أو إلى بلاد بونت وذلك طول العصور المصرية، وسجل ذلك العديد من المناظر والنصوص سواء التاريخية مثل نصوص الافراد المختلفة أو الأدبية مثل قصة نجاة الملاح وقصة ون آمون أو الدينية مثل أسطورة أوزير ورسو تابوته على شاطئ جبيل، وكان لهذين البحرين أهمية كبيرة في اتصال مصر بجيرانها سواء كاتصالات سياسية أو عسكرية أو تجارية . (محمد، 1978: 418)

على ما يبدو كان صناع النماذج الحجرية الجنائزية، والرسامون في العصر الانتقالي الأول وعصر المملكة الوسطى، يفضلون تصوير مشاهد حصر الماشية، وتحصيل الضرائب، وكأنهم يستمتعون بتجسيد الضرب المبرح الذي كان يتلقاه الفلاحون من قبل جبأة الضرائب، وذلك عند تحديد قيمة الضريبة السنوية التي تتغير حسب مقدار المحاصيل بالإضافة إلى نصوص الكتبة التي وجهت نقداً لاذعاً لحياة الفلاح البائسة، لكن يمكن القول إنّ نماذج المراسلات التي يتدرب عليها الشبان الكتبة، لا تعكس الحقيقة الكاملة لأوضاع الفلاح . (فالبيل، 2001: 71)

إنّ عهد حكم الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من العهود المظلمة في مصر فقد نشبت المنازعات الداخلية بين أمراء الأقاليم من جهة وبينهم وبين السلطة المركزية من جهة أخرى، وكما كثرت المؤامرات والدسائس والحروب الأهلية فاضطرب النظام واختل الأمن توقفت مشاريع الري فتدهورت الزراعة وضعف الإنتاج وعم الفقر كما راح يتقلب على العرش ملك تلو الآخر حتى لا نكاد نعلم عنهم إلا أسماءهم وقد نشبت ثورة شعبية هزت البلاد، يتحدث عنها نص أدبي تحت نصائح إيبو صير([7]): (فرح، د.ت: بلا)، إن العبيد والفقراء قد ثأروا يتحدث الأمير إيبو صير قائلا وراحوا يقتلون أولاد الأغنياء أو يفجرون رؤوسهم بالحجارة، ويتابع قائلاً إن الذين لم يملكوا في السابق الثيران للفلاحة، أو بيوتاً أو قارباً للنقل أصبحوا الآن يملكون قطيعاً وقصوراً ومن كان يملك هذه الممتلكات في السابق أخذ الآن: ينظر لها فقط من بعيد، ومن كان يرتدي الثياب الفاخرة أصبح يتجول بثياب رثة، والفتاة التي كانت سابقاً تنظر في الماء كي ترى شكلها قد أصبح يزينها الذهب والفضة واللازورد والعقيق يزين رقاب النساء من العبيد، بينما النساء الأميرات يتضورن جوعاً كذلك نهبت صالة المحكمة ووثائقها، وتبعثر الجهاز الإداري، ومُزقت قوائم الضرائب، وقُتل الموظفون وخُطفت أوراقهم . (فرح، د.تك 75)

وقد تعددت أنواع الملكيات في مصر عبر العصور الطويلة فظهرت الملكية الفردية والملكية الأسرية المشتركة والملكية المطلقة وملكية المنفعة، ومنها أُجري عليه كل أنواع التصرف القانونية ومنها ما هو موقوف على معابد الآلهة والمعابد الملحقة بأهرام الملوك ومعابد الكهنة القائمين على خدمتها، الا أنه كان هناك فرق واضح بين أملاك الشعب بل بين املاك الدولة والفرعون على الرغم من إصرار النصوص على رد ملكية الأرض ومن عليها إلى الفرعون وريث الآلهة وصاحب الحق المقدس . (عطا، 1994: 19-20)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المبحث الثاني: اشكال الاستبداد الاقتصادي ومظاهره

كان المجتمع في النظام الفرعوني ونتيجة الأفكار الاقتصادية لدى الفراعنة ينقسم إلى طبقتين رئيسيتين:

1 - الطبقة الحاكمة: وهم النبلاء والموظفون وقادة الجنود وكبار الكهنة.

2 - وفي مواجهة الطبقة الحاكمة تكون بقية أفراد الرعية الذين يخضعون للدولة تماماً أي عبيدٌ لها، لا لشخص معين وهم عبيد فرعون لأنه رمز هذه الدولة. ويطلق عليهم أحياناً (العبيد العموميون) وكانت الدولة الفرعونية في العهود القديمة تمثل سلطة مركزية في مصر، ذات شمول اقتصادي وسياسي وفكري ديني على كل الطبقة المحكومة، ويتمتع الملك والطبقة الحاكمة بهذه السلطة عن طريق انتمائهم لجهاز الدولة تعفى الطبقة الحاكمة والحاشية من الأعمال البدنية أو ممارسة النشاط الاقتصادي والمتابعة التي يقوم بها غيرهم

([7]) وإيبو صير هو أمير مصري يظهر في كلامه التحيز ضد الجماهير الشعبية النص مكتوب على ملف من ورق البردي، ومحفوظ حالياً في هولندا، ويعود إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة من الدولة الحديثة

نيابة عنهم، ويمارسون الأعمال الفكرية لتفوقهم على الشعب بفضل علمهم وثقافتهم، ولكنهم يخضعون للمركزية الإدارية ذات النظام الهرمي، ويكونون هيئة مغلقة متماسكة وصلبة، ويربطهم معاً بالتسلسل القهر نفسه الذي ينقلونه الى المحكومين. ومن الناحية الأخرى، يرتبط الفلاحون بالمشتركات القروية ارتباطاً لا يقيدهم ببعض فقط، بل يقيدهم أساساً بالطبقة الحاكمة التي تستغلها ككتلة، وتسخر عشرات الآلاف من أفرادها في مختلف الأعمال، غير مميزة بوضوح بين الإشراف العسكري أو المالي أو الديني . (سعد، 1979: 45)

ومرة أخرى يعود الصراع الملك امنحوتب الرابع أخناتون والإله آمون شكل في الواقع صراعاً بين الملك وكهنة ذلك الإله، بهدف انتزاع ليس فقط السلطة الدينية منهم، ولكن أيضاً السيطرة على النفوذ الاقتصادي للاستيلاء على ثروات ضخمة، واستغل هؤلاء الكهنة ثروات الشعب وثروات البلاد وجمعوها باسم الإله آمون في الواقع كان كهنة آمون وحدهم يملكون ثروة وأرضاً تعادل ما يمتلكه أي معبد آخر في البلاد تم تسجيل ذلك في لفافة من البردي من عهد رمسيس الثالث تسمى "لفافة هريس"، وهي عبارة عن إحصاء للممتلكات العقارية المملوكة للمعابد ثلث أراضي وادي النيل الخصبة كانت ملكًا للآلهة المصرية كل مصري امتلك معبداً وقضى حياته في خدمة معبد المدينة، تنص هذه الوثيقة التاريخية على أن رمسيس الثالث قام بتوزيع أربعة أخماس هداياه ومنحه الخيرية على الإله آمون في معبد طيبة، وكان هذا كافيا لإثبات أن الإله آمون كان يتمتع بثروة كبيرة، تشكل في أيدي الكهنة قوة خطيرة، يمكنها حماية الملك في أي وقت وإبعاده عن العرش . (سليمان، الفتيان، 1978: 297)

نشرت بردية هاريس[*] في عهد رعمسيس الرابع وضحت مذكرة بكل أشكال الهبات التي منحها الملك للمعابد الثلاثة الكبيرة آمون رع في طيبة، أتوم رع في عين شمس وبتاح في منف وهي منشآت وأثاث مقدس ومنتجات فخمة وأراضي وموظفون ومراكب وهذا يدل على اتساع القوة الاقتصادية لعالم المعابد التي خصصها لهم رعمسيس الثالث على مدى واحد وثلاثين عاماً من سنوات حكمه حتى بلغت ١٥ الأرض المزروعة 107615، شخصاً و490386 رأس ماشية و 88 مركب...إلخ . (جري، 2019: 119)

[*]) بردية هاريس عثر على هذه الوثيقة عام 1855م بالقرب من معبد الدير البحري من ثم اشتراها العالم انطوني تشارلزهاريس في العام نفسه فاصطلح على تسميتها ورقة هاريس البردية الكبرى تتألف من 79 صفحة يذكر فيها جميع المأثر التي قام بها رعمسيس الثالث لإلهة مصر خلال 31 سنة من حكمه ومن ثم خطت المعابد هذه البردية بعد وفاة الملك ربما بطلب منه يقول النص في البردية هذا ما عطاه الفرعون لبيت الاله ليكون ملكا له الى الابد وذلك لغرض الاعتراف بأملاك المعبد على انها ملك من الحاكم ، ينظر ادولف ارمان وهرمان رانكه، مصر وحياة المصرية في العصور القديمة، ص330 قد ساهمت بردية هاريس الكبرى بتشكيل فكرة واضحة عن الثروة الضخمة التي حصلت عليها تلك المؤسسات الدينية في نهاية عهد رعمسيس الثالث، ويتضح من هذه البريدية أن حوالي ثلاثة أرباع تلك الملكيات عادت لصالح أملاك معبد آمون رع في طيبة، والتي أعفيت من النظام الضريبي بالإضافة إلى إعفاء أتباع المعبد من الخدمة العسكرية، والسخرة لصالح التاج. وبناء عليه ليس من الصعب فهم القوة الاقتصادية التي حظيها كبير كهنة آمون رع في عصر الرعامسة. هذه التطورات الاقتصادية انتهت بطبيعة الحال إلى الاعتراف بسيادة كهنة آمون على الجنوب.

وقد شكلت نهاية السلالة الرابعة منافسة لسلطتها من طبقتي الاشراف والكهنة اللتين اخذت شوكتهما تزداد في البلاد فأصبحت الوظائف الكبيرة المهمة وراثية واخذت طبقة النبلاء تستحوذ على مساحات كبيرة من الاراضي والاقطاعات فزاد نفوذها وقل ارتباطها بسلطة الملك وآل الأمُر إلى ان يناؤوا الملك السلطة في البلاد ولم يكترثوا بان يدفنوا في العاصمة قرب المكان المخصص لدفن الملك وانما دفنوا في مدنهم التي يعيشون فيها . (سليمان، الفتيان، 1978: 297)

اشتغل في أراضي الفرعون والاشراف والكهنة الفلاحون الذين لا ملكية لهم، ولم يتميزوا عن العبيد إلا من الناحية الحقوقية، أمّا من الناحية المادية فيشبهونهم تقريباً، وقد استثمرت أيضاً جهود العبيد من أسرى الحروب الخارجية مع بلاد النوبة وليبيا، ولكن عدد العبيد في هذه الفترة المبكرة كان قليلا، أما الفلاحون الصغار فهم الذين يملكون قطعاً زراعية خاصة اصبح نتيجة ضريبة الدولة عددهم يتناقص تدريجياً، وكان عليهم أن يقدموا حصة من انتاجهم للفرعون وهكذا عاش الفرعون والطبقات المسيطرة في المجتمع في رفاهية بالغة على حساب المنتوجات الفائضة التي انتجتها جهود العبيد وعامة الشعب الكادح (فرح، د.ت: 66)

الفئات العاملة

كان يتم تعبئة العمال في المشاريع بطريقة السخرة وكل مصري بسيط الحال يقع تحت طائلة السخرة، إلا الفئات المستثناة (الموظفين، الجنود، الكهنة، خدم المعبد)، وسيلة حشد العمال للسخرة من اختصاص السلطات المحلية . (جيميز، 1999: 96)

وبينما كان الفلاح كعامل زراعي فهو مغبون مستباح سواء أكان يعمل بأجر مالي أم بحصة، ولا يتأتى إصلاح شأنه إلا بتشريع حكيم يحفظ حقوقه ، وما دام العقد بين المالك والأجير لا يقوم على مبادئ النزاهة والعدل، فإنه لا محالة تجد في عقول أولئك السذج الذين إذا فهموا الظلم الواقع عليهم لم يلبثوا أن يطلبوا الخروج منه . (نحاس، 2012: 18)

وهناك أعداد كبيرة من لفائف البردي العائدة إلى أواخر الدولة الحديثة تصور البؤس والفاقة والغلاء الفاحش الذي كانت تئن تحته طبقة الدهماء: يقصد بطبقة الدهماء هي طبقة مترفهة جديدة طبقة الموظفين وطبقة اخرى منظمة مطبعة هي طبقة الجيش وازداد بالطبع نفوذ الكهنة اما الطبقة العامة فلم تعد تلعب دوراً مهماً واختفت من مسرح السياسة في البلاد واخذت تظهر مكانها طبقة جديدة التي برزت بوضوح في أواخر الدولة الحديثة وينتمي اليها فئة الفقراء والعمال وهاتان الطبقتان اي طبقة الفقراء والعمال أو طبقة الدهماء تقومان بخدمة الدولة والالهة ويكون المشرفون عليهم من بينهم. وقد قدمت لنا لفائف البردي ادق المعلومات وأقدمها عن قوائم بأسماء العبيد ورجال السخرة وآبائهم في السلطة وبأسماء المدن التي نشأوا فيها

واختصاص كل منهم. والواقع ان هذه المصادر التاريخية التي وجدها العلماء في التدوينات على لفائف البردي واحوال طبقة الرعاع ووضع حياتهم في السلالتين التاسعة عشرة والعشرين تعتبر فريدة من نوعها في تاريخ الحضارات (سليمان، الفتيان، 1979: 301) فقد قلت الارزاق وساء الوضع الاقتصادي في البلاد بسبب هجوم القبائل الغربية وغاراتها المستمرة ونهبها الامتعة والحاصلات واحتكار الكهنة للأموال والاطعمة التي كانت ترد المعابد فارتفعت اسعار الحبوب ارتفاعاً خيالياً وعمت المجاعة في البلاد وذلك في أواسط عهد السلالة العشرين فتوقفت عمليات دفع اجور العمال التي كانت من مواد الاطعمة كالسمك والبقول والحبوب والبيرة والخشب والوقود فهاج العمال وأعلنوا الاضراب فاضطر الموظفون الذين كانوا السبب في هذه الفوضى بما كانوا يتصفون به من التفسخ المتفشي بينهم إلى دفع أجور هؤلاء العمال ثم تستطرد لفائف البردي في وصف اخلاق هذه الطبقة فتقول إنّها منحطة خلقياً وتقوم بإعمال السرقة والاغتصاب وقطع الطرق وتأتي الفحشاء والمنكر .(سليمان، الفتيان، 1979: 301)

ويعاني الفلاحون في مصر القديمة تناقضاً غريباً فهو يتصدر المواضيع الجنائزية التي تتعرض لعالم الأحياء، حيث صورت نقوش المقابر سلسلة طويلة من مشاهد العمل الزراعي: (الفلاحة، والحصاد، وتربية المواشي)، ومع ذلك ظل الفلاحون مهمشين في اقتصاد يعتمد أساساً على العمل الزراعي. كان الجمهور الأساس من السكان المصريين يتألف من الفلاحين الأحرار (ميرتو)، ومنهم من اغتنى كالـ(نيزس) وغدا في عداد الأثرياء والوجهاء، أما من بقي فقيراً بائساً فلم تختلف حياته كثيراً عن حياة العبيد، بل تحول بعضهم فعلاً إلى رقيق نتيجة فقره وعدم تسديد ديونه للوجهاء، وفي عصر ما قبل الأسرات كان كل مشترك قروي يملك أرضه ملكية جماعية، وبقي هذا الحق سارياً في عصر الأسرات الطينية (الثينية)، ولم يتم إخضاع القرويين للسلطة الملكية إلا بعد استخدام أساليب القمع ضد ثورات الدلتا فترة من الزمن من ثم تحول الرعايا إلى أيدي عاملة مجردة من حق التملك . (جري، 2019: 137)

وكانت حياة الفلاح قاسية ما لم يكن المشرف عليه من الموظفين ذوي القلب الرحيم و أن الشائع كان امتصاص قوى العامل الى اقصى حد ممكن، وكان الفلاح مرتبطا بالأرض ينتقل معها من مالك إلى آخر كأنه جزءٌ منها وإذا قصر فجزاؤه الجلد، وعليه إذا أقبل الفيضان وأصبح العمل في الحقل مستحيلا أن يقوم بعمل آخر في خدمة الفرعون أو حاكم الولاية التي ينتمي إليها فينقل الأحجار التي يقطعها العمال من المحاجر, إلى حيث يريد كل منهما أن يبنى قبره او معابد آلهته وكان الفلاح نحيل الجسم ولم ينل قسطه الكامل من التغذية ويتناول أجره الضئيل عينا من المحاصيل ويصبح قبل أن تنضج تلك المحاصيل على شفا الهلاك من الجوع وجعلته المجاعات وانتشار الطاعون اللذان كانا يحدثان من آن لآخر فريسة لخطر فجائي يأتي من قوى عظيمة . (نظير، 1970: 312)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ويذكر أن تنفيذ هذه الأبنية العملاقة تطلب الاستعانة بحشود من العبيد يُضربون ضربا مبرحا بالسياط. وإنّ كان العمال الذين شيدوا الأهرام من المصريين دون سواهم معظمهم من الفلاحين الذين جُندوا مع جنود تركوا ورائهم بعض وحدات الجيش، كما تشير بعض نقوش رسموها على كتل حجرية، مازالت مرئية في الوقت الراهن، ويذكر أن هؤلاء الرجال كانوا يعملون لتأمين أبدية الملك الإله وحمياتها، وكانوا على وعي تام بأهمية عملهم، يحركهم إيمان راسخ . (حسن، 1919: 38)

وقاد الملوك إلى استغلال طبقي باستيلائهم على فائض الإنتاج. . (الترمانيني، 1979: 15)

خير مثال لمقاومة ومعاناة الشعب المصري من الاستبداد والظلم وأبراز ملامح الوعي الشعبي بما يجب أن تكون عليه سياسة الدولة إزاء الشعب، فعلى لسان الفلاح خون أنوب في شكواه يحدد تصوره لواجبات الحكومة إزاء المواطنين:

"أن تقضي على الظلم، وتقيم العدل، وتوفر الطعام والملبس والدفء، وأن تقف إلى جانب الفقير ضد ظالميه فقدم شكواه التي تفيض بالفصاحة

"انظر انك لرئيس وبيدك الميزان

فلا تدع الميزان يختل

وان لسانك هو ذلك اللسان الصغير للميزان

وقلبك هو تلك الصنجة

وشفتاك هما قب الميزان

فأذا سترت وجهك عن الظالم

فمن ذا الذي يمكنه ان العار

انت تصنع العدل

وتصنع كل طيب وتبيد كل خبيث

انت تجئ كالشبع، وبمجيئك ينتهي الجوع

انت تجئ كالثياب، وبمجيئك ينتهي العري

انت كالسماء الهادئة بعد عاصفة هوجاء

تعطي الدفء لمن اصابه البرد انت كالماء تروي الظمأ " . (حافظ، د.ت: بلا)

وكان عدد المكلفين لتحصيل الضرائب كثيراً جدّاً، والقصد من كثرتهم تسهيل الحصول على ما يمكن في أيدي المزارعين؛ ليسهل على المحصلين توريد ما جمعوه إلى الأماكن الحكومية التابعة لها مناطقهم بأيسر مستطاع، باعتبار أن الكميات التي تجبى يجب عرضها للمعاملات التجارية، حتى لا تزدحم بها المخازن

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

الحكومية، ويترتب على تراكمها تعرض البعض منها إلى التلف، وأن يؤدي ذلك إلى شبه احتكار في المطعومات ونحوها، وأن من صالح هذه الطبقات تسهيل السبيل أمامها في موارد الارتزاق وأوجه الكسب. (زكريا، 2008: 98)

من البديهي عندما بدأ المجتمع ينتج فائض السلع لأول مرة لم يكن هذا الفائض يكفي للنهوض بالمستوى المعيشي للمجتمع كله، لقد كان ثمة فئة قليلة تنتفع من هذا الفائض أكثر من غيرها، وهذا بدوره يعني أن المجتمع بدأ بالضرورة يعرف اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية ولولا استغلال بعضهم لجهد الآخرين لما كان التقدم ممكناً من أصله إذ قام زعماء القبائل بضم جماعات أخرى تحت سلطتهم، مستغلين تراجع الروابط القبلية المتمثلة برابطة الدم، أمام روابط التجاور والمصالح المشتركة، وعلاقات الزواج، ووحدة الفكر الديني، وترتب على اندماج المشاعات القبلية نشوء المشاعات الإقليمية (النومات). وأصبح لكل إقليم زعيمه الأكبر، ومعبوده، وشعاره الخاص وعاصمته وتحول زعماء القبائل إلى ارستقراطية في الأقاليم، وباتت الأعمال القيادية الاقتصادية الدينية العسكرية في أيدي هؤلاء الزعماء، ومن ثم انتقلت امتيازاتهم إلى استغلال طبقي بالاستيلاء على فائض الإنتاج . (جري، 2019: 30)

فضلا عما تقدم لتبيين كل الأهمية التي للفلاح باعتباره منتجا إنه لا يوجد زارع آخر يحل محله ويحمل عبئه، وهذا الفلاح على اختلاف منشئه هو الوحيد الذي يستطيع زرع الأرض بمصر، وهو الذي يقف عاريا تحتَ الشمسِ المحرقةِ بجانب شادوفه يرفعُ به الماء كما كان يفعل أجدادهُ، وماله من دورٍ في الحالةِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ, لهذا الذي ينتج الخيرات بلا كلال مع بقائه فقيرًا معدما، وكيف ترتب عليه تمادي الظلم سنين طوالا أن تعود الفلاح معاناة عيشة البؤس. (نحاس، 2012: 22)

ثانياً: الطبقة العاملة وتشمل: العمال الذين كانوا يعملون في المناجم و المحاجر وفي بناء الأهرامات و المقابر والمعابد، وكانت الدولة هي التي تشرف عليهم وشملت الفلاحين الذين كانوا يمثلون نسبة عالية وكانوا يعيشون على الزراعة وتربية المواشي، وقد كانوا يتكونون من فريقين أحدهما من ملاك الأراضي الذين كانوا خاضعين لأداء الضريبة المفروضة عليهم ،والثاني وهو الأكثر عددا، يعمل كأجير عند الملوك والنبلاء وحكام الأقاليم، أما أصحاب الحرف الصغيرة كالنجار والحلاق والبستاني وصانعي السهام والإسكافي والصيادين والملاحين ورعاة الأغنام وهم ينتمون للطبقة الدنيا ويشكلون الأغلبية الساحقة كان معظمهم يعيش في القرى المتناثرة على طول نهر النيل . (بيير، 1997: 24)

ومن ناحية أخرى يزداد عدد الفلاحين المفلسين ويتحول قسم منهم إلى ما يسمى (خيمو نيسون) أي عبيد الملك، وقد تميزوا من العبيد العاديين بأن عملهم كان منظماً أكثر، وتلقوا من الخزينة وسائل الانتاج وحصلوا على أجرة معينة، وأحياناً يدخلون في عداد الجيش، أو يقدم الملك البعض منهم كهدية للأمراء، بالإضافة إلى

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

هذا النوع من العبيد يزداد أيضاً العبيد العاديون من طريق الشراء أو أسرى الحروب وتقع على عاتقهم أصعب الاعمال، والنساء منهم يعملن خاصة بطحن الحبوب في مطاحن يدوية كما هو في الأسرة الثانية عشرة . (فرح، د.ت: 72)

إمّا الأعمال الحرة والأعمال الحكومية وجد في مصر القديمة نوع ثالث من الأعمال التي انتظمت في منازل وضياع الطبقة الإقطاعية التي عرفها المجتمع الفرعوني بوضوح مع بداية الأسرة الخامسة، حيث انخرطت أعداد كبيرة من الصناع والحرفيين في العمل لدى هؤلاء الإقطاعيين، فكان بعضهم من الأسرى الذين يتم الحصول عليهم كمنحة من الملك، والبعض الآخر عبيدا أجانب يجلبهم تجار الرقيق، بينما كان البعض الثالث وهو الغالب حرفيين مصريين أحرارا يعملون بعقود موثقة وأجور مجزية . (الجبالي، 2017: 90)

وتشكلت طبقة العمال الذين كانوا يعملون في المناجم والمحاجر وبناء الأهرامات والمقابر والمعابد وكانت الدولة هي التي تشرف على العمال، أسهمت طبقة العمال بنصيب وافر ذلك في تشييد العمائر المصرية الضخمة من أهرامات ومعابد ومقابر. فيبدو أنها لم تعش حياة تتفق مع الجهد الذي كانت تقوم به، ومع ذلك فقد كان النظام الدقيق الذي اتبع معهم، قد أعطاهم بعض حقهم، وضمن لهم. مأكلاً وملبساً وربما كانوا أحسن حالاً من الفلاحين، أما دور هذه الطبقة في الثورة فربما كان أكثر أهمية من دور الفلاحين وأقل خطراً من دور الصناع والفنانين (سليم، 1989: 90) ، وإنّ الازدهار الاقتصادي أدى إلى زيادة الملكيات الكبيرة وازدياد عدد العبيد من أسرى الحروب الخارجية، وقد استخدم قسم من العبيد كخدام وحراس وجنود، أما معظمهم فقد اسُتخدم في المزارع والمصانع والمناجم وغيرها من الاعمال الشاقة، وقد أصبح الفراعنة والأمراء والكهنة وقادة الجيش من كبار ملاكي العبيد, هناك طبقة متوسطة يملك أفرادها عدداً قليلا من العبيد، وكذلك ساعدت الحروب الخارجية على توسع وتطور طبقة الأمراء العسكريين، ومن ناحية أخرى تسوء حالة الفلاحين الصغار، فيضطروا للحصول على القطيع والبذار من خزينة الدولة (فرح، د.ت: 79)

في مواجهة الطبقة الحاكمة تكون بقية أفراد الرعية الذين يخضعون للدولة تماماً أي عبيداً لها، لا لشخص معين وهم عبيد فرعون لأنه رمز هذه الدولة، ويطلق عليهم أحياناً العبيد العموميون، وإلى جانب العبيد العموميين في المجتمع الفرعوني كنا نجد أيضاً العمال الأجراء وهم عبارة عن الحرفيين الذين يشتغلون في بعض الحرف والبناء والزخرفة والحدادة، وكذلك وجد العبيد الأرقاء، الذين كانوا ينقلون من مكان إلى آخر ويُسلمون إلى الجهات التي تحتاج إليهم، كما لو كانوا ثيراناً أو حميراً وليس لهم أي حقوق، وتكون أغلبية الطبقة المحكومة في المجتمع الفرعوني خاضعة للدولة ليس كأفراد مستقلين(الكفري، 2004: بلا) ، وجملة القول فأن هذه الأعمال الشاقة والضربات بالعصي سرعان ما تنسى، وقد أعتاد الفلاح عليها ويعزي نفسه اعتقاده أن العصا لم تستثني أحد في بلده وأنها كثيرا ما وقعت على اكتاف أقل تحملا من اكتافه(بيير، 1997:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

164) ، وكانت طبقة الفلاحين تؤلف الغالبية العظمى من الشعب، وكانت تتكون من فريقين الواحد يملك أرضه وحقله، والآخر أجير عند الفرعون أو عند الأمراء أو حكام الأقاليم. ويبدو أن دور هذه الطبقة في الثورة كان أقل من غيرها، وتجب الإشارة في هذا المجال إلى أنه لم يكن هناك نظام صريح، يظل فيه النبلاء والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلاً بعد جيل، فهناك أمثلة كثيرة انتقل فيها بعض المواطنين من أشخاص عاديين إلى موظفين كبار في الدولة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك ونـي الذي يفهم من نصه الذي سجله على جدران مقبرته أنه كان رجلاً من أسرة بسيطة استطاع أنّ يرتفع إلى كثير من الوظائف المرموقة في البلاد، ومن ثم فقد كانت الفرصة متاحة لكل من تتوافر فيه الصفات اللازمة لشغل هذه الوظائف العليا . (سليم، 1989: 89)

ثانياً: الضرائب

كان حاكم الإقليم في مصر القديمة هو الذي يشرف على جمع الضرائب وبعد أنّ يتم جمعها تحفظ في مخازنه حيث يعد ملك الفرعون؛ لأنّ الأراضي الزراعية في مملكة مصر هي ملك للفرعون وعُدَّ الفلاحون مستأجرين يؤدون ما عليهم من ضرائب لحاكم الاقليم وهي ضرائب عينية من المحاصيل إذ لم تعرف النقود بعد وكانت الضرائب تتغير كل عام وفقا لكثرة المحصول أو ندرته، وكان الملك يهب للأكفاء من رجال الحرب والإدارة من الأراضي لهم ولأبنائهم من بعدهم . (حسن، 2019: بلا)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

كان جابي الضرائب يتلقى الكشوف بالربط الضريبي في المنطقة وإذا امتنع أحد عن التسديد فقد كان يتولى الجابي التقرير حسب الظروف وكان ينظر الجابي في ظروف وامكانيات الشخص فهذا الأمر متروك له وكانت أهم الطرق التي يتسلط بها الجابي على الممتنعين عن دفع الضرائب هي تعويض مادي والأخرى عقوبة جسدية . (جري، 2019: 137)

كانت الضرائب تفرض على الأراضي الزراعية بحسب خصوبتها ووفرة محصولها لأن بالضرائب تستطيع الحكومات تنظيم الشئون العامة جهد استطاعتها، وتبذل عنايتها في ترقية الأحوال باقتضاء العصور وتطورات الأدوار العمرانية، وقد كان التعامل في السابق جارياً عن تبادل العروض التجارية، والمحاصيل بنسبة اصطلاحية، ألفوا قبولها فيما بينهم باعتبار أن الإردب القمح يعادل مجموعة من الأقمشة، ويعادل مجموعة من باقي الاطعمة وأدوات المباني ونحوها فكان الفلَّاح يدفع للصيارف مقادير من المحاصيل على نسبة زراعته، وصاحب الأغنام يؤدي عددًا منها بنسبة عدد أغنامه وهكذا، وكان بعض الملوك يجعل، علاوة على تقدير الضرائب بأنواعها بالأسلوب السالف ذكره، قيام بعض القرى والمدائن بتموين طوائف من المستخدمين الذين يكلفون بتنفيذ نظامات الري، والمحافظة على الترع والجسور، وتطهير الجداول ومؤاساة الذين يؤسرون في الحروب، بما يحتاجونه من الطعام إلى أن يتوفر لديهم من كسب أيديهم ما يكفي

باحتياجاتهم والقرى التي كانت لا تستطيع النفقات لأولئك الموظفين كانوا يكلفون أفرادًا منها بما يناسب أحوالهم من هذه الأعمال، وجاء في التوراة أن فرعون كان يسخر قبائل بني إسرائيل في هذه الشؤون . (زكريا، 2008: 97)

يدل ما وصل إلينا من وثائق على تطور الإدارة الفرعونية تطورا مذهلا، واعتماد الأعمال الحكومية منذ فجر التاريخ على نظم غاية في الدقة والصرامة، فهناك سجلات معدة لتدوين أسماء العمال وما يكلفون بإنجازه، وهناك مراقب خاص لكل مجموعة منهم. وقد يكون من المحتمل تسخير الفراعنة لبعض أسرى الحرب جنبا إلى جنب مع المحكوم عليهم بعقوبة الاشغال من المواطنين المصريين في إداء الاعمال الشاقة غير أنهم لم يمثلوا يوما سوى جانب ثانوي من قوى العمل التي كانت تعتمد في الأساس على تشغيل جنود الجيش في أوقات السلم، وعلى توظيف عمال دائمين أو مؤقتين مقابل أجر ملائم . (الجبالي، 2017: 89)

يعتبر الرق وهو تملك إنسان لإنسان آخر وممارسة حق الملكية عليه، وهو حق من الحقوق متحدية أحكام العقل والضمير فقد كان الإنسان إلى عهد قريب يباع ويسام في ظل نظام قانوني، أباح للقوة استرقاقه ومنحها حق التصرف فيه، وفي ظلمات الإنسانية انطلقت أصوات تنعى على القوة ما أباحت لنفسها من حق استرقاق الإنسان ونادت بتحريره، لأن الحرية حق أزلي، لا يجوز سلبه ولا اغتصابه . (الترمانيني، 1979: 13)

كان الفلاحون يعانون من مشاكل الفئران والعصافير والجراد إذ تلتهم زراعته وما بقى منها كان لصوص الأراضي يسطون عليها؛ لهذا كانوا يهجون من قراهم عندما يحل موعد الحصاد لأنهم لا يستطيعون دفع الضرائب مما تغله الأرض، وكان هذا الخراج يقدم لخزائن المملكة، وفى موعد الحصاد كان الجباة يفدون للقرى ويجلسون بجوار الشاطئ ليعاينوا الأرض ويقدروا غلتها، وكان الفلاحون لا يستطيعون تسديد مديوناتهم من الضرائب لصيارف الملك، فتحضر الشرطة الفلاح المتعسر ويلقى بهم ومعه زوجته وأبناؤه فينهالون عليهم بالضرب المبرح بلا هوادة ولا رحمة، وكانوا يجرونهم مقيدين بالسلاسل وسط الأهالي في النيل ليكونوا عبرة وعظة لأهل قريته، وكانت هذه الممارسات التعسفية والمأساوية شائعة في قرى مصر، ولهذا ظل شبح الضرائب الأميرية يؤرق الفلاحين طوال العصور التاريخية . (عوف، 1999: 121)

على سبيل المثال ورد في نص من النصوص التعليمية التي سجلها أحد الكتبة في خطاب وجهه إلى تلاميذه، يحدثهم فيه عن نصيب الفلاح من الحياة، قائلاً" ألا تذكر حال الفلاح الذي يقف أمام الجابي الذي أتاه لتسجيل ضريبة الحصاد عندما أتلفت الدودة نصف الحبوب، وابتلع فرس النهر البقية ثم يهبط الكاتب إلى شاطئ النهر على أهبة الاستعداد لتسجيل ضريبة الحصاد، ويضرب الفلاح في كل أنحاء جسمه، ويقيده ويرمي به في البئر أما زوجته فقيدت بحضور أولادها وأما جيرانه فيتخلون عنه ويهربون" . (جري، 2019: 138)

وكان عمال الضرائب يُدعون باللغة المصرية القديمة بـ (نو)، وفي عهد الدولة الحديثة (سنو)، وبالقبطية سون أي جابي خراج المزارعين، وكان تقدير الخراج بعد مقياس النيل، ويتم تحصيله قبل تمام الفيضان إذ كانوا بحلوله يمتنعون عن تحصيل الضرائب، وكانت أعمال الجباية وتحديد مقادير الضرائب غاية في الدقة، ولهذا يلتجئ الجباة إلى استعمال وسائل للإخضاع في دفع ما عليهم، وكان بعض المزارعين يتذمر من الضرائب كلما تجدد ربطها عامًا بعد آخر لأنه يظن نفسه مغبونًا في التقدير بادئ ذي بدء، وعندما يتأكد أن التقدير جاء طبق ما وصلت إليه التجديدات الفنية بعد مقياس النيل يذعن للأداء، وقد جاء في بعض الأوراق البردية أن بعض محصلي الأموال كانوا إذا أعياهم الأمر لجأوا إلى ضرب الأشخاص بالعصيّ، أو تغطيسهم في الماء إلى أن يدفع المماطل ما يكون متأخرًا عليه. وكان تحت أيدي هؤلاء الكتبة المكلفين بجبايات الضرائب وتحصيلها مستخدمون كثيرون بألقاب متنوعة، ومنهم من يلقب برؤساء الشوَن أو المخازن . (زكريا، 2008: 98)

ويتضح من بعض الوثائق التاريخية أن ضريبة الأراضي الزراعية كانت تقدر بنسبة خمس الإنتاج الزراعي شأنها في ذلك شأن أغلب الضرائب الأخرى مثل ضريبة التجارة أو أنتاج مصايد الأسماك، وتؤكد الوثائق في عصر المملكة الحديثة أن الملوك كانوا يراعون اعتبارات العدالة والتيسير عند فرض الضريبة أو تحصيلها فغالبا كان سعر التيسير على الممول كانت الدولة تقبل اداء الضريبة على دفعات، كما كانت تتنازل احيانا عن كل أو جزء من الضريبة بصفة دائمة أو مؤقتة اذا كان هناك مبرر لذلك وحتى يتم تحديد الضرائب بطريقة عادلة كانت الدولة تكلف بعض موظفيها بأعداد تقارير دورية عن منسوب مياه النيل حتى تضع ذلك في الاعتبار في تحديد سعر الضريبة . (موسى، 1998: 233)

بعيدا عن الأعمال الحرة التي كان يقوم بها الصناع والحرفيون، كانت جميع الأعمال الضخمة التي تحتاج إلى جهود عظيمة وتكاليف باهظة من اختصاص الحكومة المصرية القديمة، التي كانت تحتكر استغلال المناجم والمحاجر، وتشييد المعابد والمقابر الملكية، كما كان لها مصانعها الخاصة، التي يعهد إليها بتصنيع المنتجات الغذائية من الضرائب التي تسدد من الحاصلات الزراعية، إلى جانب تصنيع جميع ما تحتاجه الإدارة الحكومية والقصر الفرعوني من منسوجات وأوراق ومجوهرات وأثاث وأوانٍ وعطور . (الجبالي، 2017: 88)

وبالإضافة إلى غنائم الحروب من مواد أولية وأسرى من البلاد التي أخضعتها مصر لسيادتها، كان هناك مئات آلاف الهكتارات من أراض مصر الزراعية في حيازة المعبد التي استثمرت لمصلحته من قبل جيش من العبيد الأسرى ولحساب عقارات أمون وجدنا حدائق ومزارع العنب، وقطعان الماشية، والحبوب والسلع، وإتاوات على الأراضي، وأساطيل خاصة بالإله تضمنت سفناً تجارية تمر بسواحل البحر الأحمر والساحل

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

السوري (الكنعاني)، هذا بالإضافة إلى ورشات الحرفيين التابعة للمعبد التي تتم فيها صياغة الذهب وغيره من المواد الثمينة. وكانت ملكية المعبد تلك كلها معفاة من النظام الضريبي وهكذا نجد ان الطبقات الدنيا هي التي ترزح تحت وطأة الضرائب في حين تعفى منها الطبقات العليا . (جري، 2019: 117)

ومن عادات المصري القديم إذا جاء الفيضان ناقصاً أن يُخفَّض من قيمة الضرائب مقدارٌ يعادلُ نقصَ الفيضانِ، ويؤيد ذلك ما وجد في بعض النقوش لأموني أمير الإقليم في عهد الملك سنوسرت، بما معناه "لما كان النيل مرتفعًا والمحاصيل جيدة لدرجة ساعدت في ثروة المزارعين، لم أفرض عليهم ضرائب جديدة ليكونوا على الدوام في فرح وشُكر." وهذه الجملة تثبت أنه عند نقص الفيضان يُراعى تخفيض الضرائب بقدر هذا النقص، ولا يجوز تقرير ضرائب جديدة، ووجدت في نقوش أخرى لأمراء أسيوط في عهد الملك خيتي الأول عبارات عن تاريخه بالمعنى الآتي يفتخر الملك خيتي الأول بأنه أغنى المزارع وساعده على الرفاهية، حتى جعله يقتات بالقمح بدلًا من الذرة الذي كان القوت الغالب لعموم المزارعين في تلك الأدوار، وكانت طريقة الجباية مرتبة على أشهر المحاصيل لأن الضرائب كانت تؤخذ من أجودها، ووُجد في بعض النقوش على قبر أمتن الذي كان معاصراً لأحد ملوك الأسرة السادسة ما يؤيد هذه القاعدة، وسريان العمل بها إلى عصر الأسرة الرابعة والعشرين، وفي عصر البطالسة والرومان كان الملك يشرف على لجان تقرير الضرائب التي تؤلف في كل ولاية لتقدير قيمة الأراضي ومحصولاتها، ووضع الخراج لها بدرجة تطابق حالتها، ويقصد الملوك بهذا الإشراف التحيز والمجاملة لأعضاء اللجان لوجهاء الأقاليم في التقدير وفرض الحيف عن الفقراء فيما يقدر عليهم . (زكريا، 2008: 100)

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

ثالثاً: السخرة

السخرة وهي استغلال جهود العمال في المشروعات العامة من عمال المعادن وعمال المقابر وغالبا ما كانت السخرة عندما يفيض النيل فلا يجد الفلاحون عمل يعملونه وأيضا عند الفيضان تصبح الجسور مهددة بالانهيار وبذلك تتعرض سلامة البلاد للخطر فظهرت السخرة للمحافظة على منشآت الري والسدود وأيضا سخرة العمال لتطهير الترع الزراعية وتجفيفها وبذلك أصبح عمل الفلاح نتيجة عدم وجود عمل لديه هو السخرة إجبارا ,أحيانا يجبر مئات العمال على عمل معين وهنا يظهر سوء الإدارة وسوء الإشراف ومدى التسلط والجبروت . (بتري، د.ت: 65)

وتعد السخرة من ضمن العقوبات التي تفرضها الدولة على الفلاحين والعمال في عدم دفع الضرائب وهو العمل بالسخرة بدون أجر في الأشغال العامة، وهذه العقوبة من الممكن ان يساء استغلالها كانت السخرة تعتبر عقوبة لذا تعد السخرة والتجنيد الاجباري اسمين لمعنى واحد ،كانت السخرة هي الوسيلة الرسمية لحشد القوى العاملة المطلوبة لأداء كافة الأعمال التي تحتاجها الدولة، والغالب أنّ بناء وتشيد الاهرامات العتيدة في

الأسرتين الرابعة والخامسة حشدت بطريق السخرة (جييمز، 1999: 71) ، وتعد السخرة ظاهرة مألوفة لتنفيذ المشروعات في حالة الفيضان في العصور القديمة كان يُجَبر الفلاحون لغرض السخرة . (بتري، د.ت: 65) .

كما عرفت مصر القديمة عقوبات أخرى أقل قساوة مما تقدم وهذه تتمثل في بعض الاجراءات منها مصادرة الاملاك يعني وضع الدولة يدها على أموال المحكوم عليه وتجريده منه وهذه عقوبة طبقت لمواجهة بعض الانحرافات التي يستغل البعض وظيفته بتعسف(الموزاني،2015 :274)

وفى موسم الفيضان كان الفلاحون يساقون للعمل لتأدية ضريبة السخرة، فكان في مواقع هذه الأعمال مختلف من الفلاحين جُلبوا من شتى القرى وكان لا يعرف بعضهم بعضا . (عوف، 1999: 121)

وترك فراعنة الدولة القديمة آثاراً عمرانية تشهد على قوة سلطتهم واستبدادهم، هذه الآثار هي أهرامات مصر التي لا تزال قائمة منذ أكثر من أربعة آلاف سنة بشكلها الأولي الذي لم يتغير إلا قليلاً. ومما دفع فراعنة مصر وأشرافها الأغنياء على تسخير طاقات المجتمع في بناء هذه القبور الفخمة هو اعتقاد المصريين القدماء بأن حفظ جثة الفرعون بالتحنيط ووضعه في مكان أبدي لا تطاله يد الانسان يضمن الخلود لروحه وأول الأهرامات التي بنيت في مصر هو الحرم المدرج الذي أمر ببنائه الفرعون زوسر مؤسس الأسرة الثالثة، وفيما بعد اكتسبت هذه القبور الملكية شكلا هندسياً هرمياً دقيقاً، وأكبر الأهرامات المصرية هو هرم الفرعون خوفو (من الأسرة الرابعة) في الجيزة قرب القاهرة ارتفاعه (146)م، وقد استمر بناؤه ثلاثين عاماً ، واستغل في بنائه (1000000) رجل ثم شيد هرم آخر قربه للفرعون خفرع من الأسرة الرابعة أيضاً وارتفاعه (143)م، كما بنيت أهرامات أخرى عديدة في عهد الأسرتين الثالثة والرابعة مما دفع المؤرخين أن يطلقوا على ذلك العصر عصر بناة الأهرام وتسخير عامة الشعب (فرح، د.ت: 67) ، وأسهم الرحالة اليونانيون وعلى رأسهم هيرودوت في ترويج أساطير تشير إلى استخدام نظام "السُخرة وإجبار الملوك لأفراد الشعب على تشيد أبنية كهرم خوفو . (حسن، 1919: 38)

ولم يترك (خوفو) شرا إلا واقترفه، بدأ بإغلاق جميع المعابد، وحرم المصريين من تقديم القرابين، وأمرهم بالعمل لحسابه وكانوا يعملون في مجموعات تتناوب كل ثلاثة أشهر، تتألف كل مجموعة من مئة ألف فرد واستغرق العمل في بناء الهرم نفسه عشرين عاما ولشدة حاجة (خوفو) إلى المال انحدر إلى أشد الرذائل انحطاطا. (حسن، 1919: 38)

وعلى الرغم من حدوث الفيضانات لنهر النيل إلا أنّ النشاط الزراعي لم يكن ينقطع على الرغم من التعطل الإجباري، ولكن يعقبه نشاط كبير يبدأ بإعداد الأرض وإعادة ترسيم حدود وعلامات الحقول وحفر الترع والقنوات على أعماق وتجديد السدود ومراجعة ارتفاعاتها، ونظرا للعمليات وقلة قوة العمل المتوفرة

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

كانت مشكلة توفير العمال والفلاحين بطريق السخرة وقد أتسم هذا النظام في عصر المملكة الحديثة بالظلم إذ كان الفلاح المصري القديم يأنف من السخرة، ووجدت بردية محفوظة في بروكلين تحتوي على أسماء سبعة وسبعين شخصا غالبيتهم من الرجال فرضت عليهم العقوبات لهروبهم من العمل بالسخرة، ولم تقتصر العقوبات الموقعة عليهم على الجزاءات المعتادة بل امتدت لتشمل ذويهم الذين كان البعض منهم يُأخذون كرهائن في بعض الأحيان (جيميز، 1999: 97-98)

المصادر والمراجع

1. أبو العنين ، سمير عبد المنعم عبد الخالق ،مفهوم الشخصية القانونية في نظم قوانين العصور القديمة، بدون ناشر، ١٩٩٣.
2. احمد ، سيد عاشور ، سيناء التنمية والبيئة ،2014 .
3. أحمد صادق سعد، تاريخ مصر الاجتماعي –الاقتصادي في ضوء النمط الاسيوي للانتاج، دار ابن خلدون، بيروت، ط1.
4. ادولف ارمان هرمان واركنه، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، 1937.
5. أديب، سمير، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، (2000).
6. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات حضارة وادي النيل، ط ٢، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة 1956.
7. ت. ج جيميز، الحياة ايام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة)،(ت) احمد زهير امين، الهيأة المصرية العامة للكتب ، 1999.
8. الترمانيني، عبد العزيز، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت صدرت عام 1978 اشراف احمد العدواني، 1990، صدرت الكتاب في 1979.
9. الجبالي، هشام، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، دار الهدى للنشر والتوزيع،2017.
10. جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري منذ بداية عصر الاسرات حتى نهاية عصر المملكة الحديثة (3100-1100ق. م) رسالة ماجستير(غير منشورة) كلية الآداب / قسم التاريخ / جامعة تشرين/ سوريا،2019.
11. حافظ، حنان محمد اشكال الاحتجاج في مصر بين الثبات والتغير دراسة تحليلية للاحتجاج العمالية والطلابية، بحث منشور، مجلة البحث العلمي في الآداب، المجلد 17، العدد 17.
12. حسن، سليم ، موسوعة مصر القديمة، ج 1، مؤسسة الهنداوي للنشر، 1919.
13. حسن، علي ابراهيم، الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة، دار الكتب المصري، النشر وكالة الصحافة العربية،2019 (ب، ص)
14. الدلفي، نجم عبيد مرعيد ، الرمز في ادبي العراق ومصر القديمين، (رسالة غيرمنشورة) ، جامعة واسط ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2022.
15. دلو, برهان الدين،(حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي - السياسي)، الفارابي للنشر والتوزيع،2008.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

16. زكريا، أنطوان ، النيل في عهد الفراعنة والعرب، مؤسسة هنداوي، 2008.
17. زناتي، محمود سلام ، حقوق الانسان في مصر الفرعونية، ط 5 ،2008.
18. سليم، احمد امين، تاريخ الشرق الادنى القديم، مصر وسورية، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، 1989.
19. سير و- م فلندرز بتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ت حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم.
20. الطلى، خالد محمد، الحرب الاهلية خلال عصر الاسرة الاولى والثانية مظاهرها ودوافعها السياسية والاقتصادية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب (11).
21. عامر سليمان ،احمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وبلاد اليونان والرومان القديم)، وازرة التعليم العالي والبحث العلمي 1978.
22. عطا، زبيدة محمد، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع 1994.
23. فالبيل، دومنيك، الناس والحياة في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة ، ط ٢ ، (القاهرة: الفكر للتوزيع والنشر ، ٢٠٠١.
24. فخري، أحمد، مصر الفرعونية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب. مكتبة الاسرة،2012.
25. فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق الادنى القديم (السياسي، الاجتماعي ،الاقتصادي، الثقافي) ، دار الفكر للنشر.
26. الكفري، مصطفى العبد الله (استاذ الاقتصاد السياسي بكلية الاقتصاد - جامعة دمشق) ، الأفكار الاقتصادية والنشاط الاقتصادي لدى الفراعنة، الحوار المتمدن-العدد: 1013 - 2004 / 11 / 10، المحور: الادارة والاقتصاد.
27. محمد، مصطفى عطا الله، أسماء المراكب واستخداماتها من خلال النصوص والمناظر المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1987.
28. مهران، محمد بيومى، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. ج 1مصر. دار المعرفة الجامعية (2015).
29. موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، المجلس الاعلى للثقافة، 1998.
30. مونتيه بيير، الحياة اليومية في مصر، (ت) ، عزيز مرقس منصور ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997.
31. نحاس، يوسف، الفلاح، مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع، 2012.
32. نظير، وليم، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970.
33. العتابي، رغد ناظم بعير ، يسر، ميثم محمد ، موقف التيار التوفيقي من الاستبداد في الفكر العربي الحديث، مجلة لارك، العدد 4 مجلد 15، 2023، DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss51.3244
34. الموزاني، زيدان خلف هادي، دراسة في بعض الجرائم والعقوبات في بلاد وادي الرافدين ومصر القديمة، مجلة لارك، العدد 3 ، مجلد 7 2015، DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss19.1002

References

1. Abu Al-Anin, Samir Abdel Moneim Abdel Khaleq, The Concept of Legal Personality in the Legal Systems of Ancient Times, without publisher, 1993.
2. Ahmed, Sayed Ashour, Sinai Development and Environment, 2014.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

3. Ahmed Sadek Saad, The Social-Economic History of Egypt in Light of the Asian Pattern of Production, Ibn Khaldoun House, Beirut, 1st ed.

4. Adolf Armand Hermann Warken, Egypt and Egyptian Life in Ancient Times, translated by Abdel Moneim Abu Bakr and Moharam Kamal, Cairo, Egyptian Renaissance Library, 1937.

5. Adeeb, Samir, Encyclopedia of Ancient Egyptian Civilization, (Cairo: Al-Arabi for Publishing and Distribution, (2000).

6. Baqer, Taha, Introduction to the History of Civilizations, the Civilization of the Nile Valley, 2nd ed., (Baghdad: Trade and Printing Company Limited 1956).

7. T. J. James, Life in the Days of the Pharaohs (Scenes from Life in Ancient Egypt), (trans.) Ahmed Zuhair Amin, Egyptian General Book Authority, 1999.

8. Al-Tarmanini, Abdul Aziz, Slavery, Its Past and Present, The World of Knowledge, a monthly cultural book series issued by the National Council for Culture, Kuwait, issued in 1978, supervised by Ahmed Al-Adwani, 1990, the book was issued in 1979.

9. Al-Jabali, Hisham, Social Life in Ancient Egypt, Dar Al-Hoda for Publishing and Distribution, 2017.

10. Jari, Katya Sabah, Developments in the Structure of Egyptian Society from the Beginning of the Dynastic Era until the End of the New Kingdom Era (3100-1100 BC), Master's Thesis (Unpublished), Faculty of Arts / Department of History / Tishreen University / Syria, 2019.

11. Hafez, Hanan Muhammad, Forms of Protest in Egypt between Stability and Change, an Analytical Study of Labor and Student Protest, Published Research, Journal of Scientific Research in Literature, Volume 17, Issue 17.

12. Hassan, Salim, Encyclopedia of Ancient Egypt, Part 1, Al-Hindawi Publishing Foundation, 1919.

13. Hassan, Ali Ibrahim, Egyptian Civilization and Eastern Civilizations in Ancient Times, Dar Al-Kutub Al-Masry, Publishing and Arab Press Agency, 2019 (B, P)

14. Al-Dalfi, Najm Obeid Mareed, Symbolism in the Literature of Ancient Iraq and Egypt, (Unpublished Thesis), University of Wasit, College of Education for Science Humanity, 2022.

15. Dalou, Burhan Al-Din, (The Civilization of Egypt and Iraq: Economic, Social, Cultural, and Political History), Al-Farabi Publishing and Distribution, 2008.

16. Zakaria, Antoine, The Nile in the Era of the Pharaohs and Arabs, Hindawi Foundation, 2008.

17. Zanati, Mahmoud Salam, Human Rights in Pharaonic Egypt, 5th ed., 2008.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

18. Salim, Ahmed Amin, History of the Ancient Near East, Egypt and Syria, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut - Lebanon, 1989.

19. Sir W. M. Flinders Petrie, Social Life in Ancient Egypt, T. Hassan Muhammad Jawhar and Abdel Moneim Abdel Halim.

20. Al-Tali, Khaled Muhammad, The Civil War During the Era of the First and Second Dynasties, Its Political and Economic Manifestations and Motives, Journal of the General Union of Arab Archaeologists (11).

21. Amer Suleiman, Ahmed Malek Al-Fityan, Lectures in Ancient History (A Brief History of Iraq, Egypt, and Ancient Greece and Rome), Ministry of Higher Education and Scientific Research 1978.

22. Atta, Zubaydah Muhammad, Economic Life in Byzantine Egypt, (Cairo: Dar Al-Amin for Publishing and Distribution 1994.

23. Valbil, Dominic, People and Life in Ancient Egypt, translated by: Maher Juwaijati, reviewed by Zakia Tabouzada, 2nd ed., (Cairo: Al-Fikr for Distribution and Publishing, 2001.

24. Fakhry, Ahmed, Pharaonic Egypt, Egyptian General Book Authority. Family Library, 2012.

25. Farah, Naeem, A Brief History of the Ancient Near East (Political, Social, Economic, Cultural), Dar Al-Fikr for Publishing.

26. Al-Kafri, Mustafa Al-Abdullah (Professor of Political Economy at the Faculty of Economics - Damascus University), Economic Ideas and Economic Activity among the Pharaohs, Al-Hiwar Al-Mutamadin - Issue: 1013 - 11/10/2004, Theme: Administration and Economics.

27. Muhammad, Mustafa Atallah, Names of Ships and Their Uses through Ancient Egyptian Texts and Scenes until the End of the Modern State, Unpublished Master's Thesis, Faculty of Archaeology, Cairo University, 1987.

28. Mahran, Muhammad Bayoumi, Studies in the History of the Ancient Near East. Part 1, Egypt. Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'iyah (2015).

29. Musa, Ahmed Rashad, Studies in the Economic History of Egypt, Supreme Council of Culture, 1998.

30. Monte Pierre, Daily Life in Egypt, (t), Aziz Marcos Mansour, Cairo, Egyptian General Book Authority 1997.

31. Nahhas, Youssef, Al-Fellah, Al-Hindawi Foundation for Publishing and Distribution, 2012.

32. Nazir, William, Plant Wealth among the Ancient Egyptians, Egyptian General Authority for Authorship and Publishing, 1970.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

33. Al-Attabi, Raghad Nazim Baeer, Yasser, Mitham Muhammad, The Position of the Tawfiqi Trend on Tyranny in Modern Arab Thought, Lark Magazine, Issue 4, Volume 15, 2023, DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol3.Iss51.3244

34. Al-Mowzani, Zidan Khalaf Hadi, A Study of Some Crimes and Punishments in Mesopotamia and Ancient Egypt, Lark Magazine Lark, Issue 3, Volume 7 2015, DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss19.1002 .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية